

المحاضرة الثالثة عناصر المحاضرة

القرآن ونظرية المعرفة

- ونعتقد أنه بإمكاننا - بعون الله - أن نجمع فبنينا من القرآن نظرية في المعرفة ، نجعلها صلب جهندا ، ومحور تفكيرنا وحكمنا ، ومقياس نقدنا للنظريات الفلسفية ، مع اعتقادنا أنه ليس كتابا للمقارنة ، وإنما لنا فيه القدوة ، حيث كشف زيف الزائفين ، ورد كيدهم ، وبما يتصل بتوضيح منهجه .
- وإنا لنعتقد بتميز النظرة القرآنية في كل مسألة ، ودقيقة من دقائق نظرية المعرفة ، مادة ، ومنهجها ، ومنبعها ، وطريقها ، وطبيعتها ، ومقياسها ، وقيمتها وحدودها .
- كما أننا نحصر - إن شاء الله - على محاولة الألتزام بالإصطلاحات القرآنية في التعبير عن الحقيقة التي يتميز بها القرآن ، وهو متميز في كل شيء . وإنا لنستعفر الله سبحانه إذنا خالفنا هذا الشرط على أنفسنا ، فيما سبق أن أسميناه هذا البحث ((نظرية المعرفة)) ، ويشفع لنا مقصودنا وفرضنا ، وحسن النية - إن شاء الله .

كما ننا نقصده من نظرية المعرفة في القرآن ، ليس كما من المعلومات ، وأنواع العلوم التي أشار إليها ، فذلك ليس داخلا في مجال هذا البحث ، وأن مانشير إليه إنما هو منارات ضوئية كافية ، لدفع الإنسان للبحث ، وفتح بصيرته على آيات الله سبحانه في الآفاق والأنفس .

ولعلنا قصدنا ببيان مرادنا من هذا البحث ، حتى لا تكون شبهة في أننا ممن يفتنون بالنظريات الفلسفية ويهرعون إلى تطبيقها على الإسلام ، فتكون القوالب فلسفية والمادة كذلك لا صلة لها بالإسلام .

فالمعرفة عندنا جزء من الوجود . والوجود ثابت قبل أن نتوجه لمعرفته . والمعرفة هي أساس للدور الإنساني في الحياة ، إذ هي قبل كل شيء معرفة الله تبارك وتعالى ، التي تنبثق منها معرفتنا للدين ودورنا في الحياه . فالمعرفة عندنا مسلمة تسليمنا بالوجود .

يكون مادة لبناء نظرية في المعرفة

- . يحتوي القرآن على أسس واضحة في طرق المعرفة ، ويقول تعالى : (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ويقول : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

- مصدر هذه المعرفة أو منبعها هو الله سبحانه : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ .
- اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) . (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)
- ذكر القرآن طرق المعرفة ووسائلها : من حواس وعقل أو قلب وأضاف طريقا فريدا ليس في طرق البشر ، وهو طريق الوحي .
- تعرض لطبيعة المعرفة ، وأنها اكتسابية كلها : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) ، (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)
- وتعرض لصور الاكتساب من تفكير وتذكير وفقه وشعور ... الخ .
- بين مجالات هذه المعرفة : المجال الطبيعي أو عالم الشهادة ، ويدرك بالحواس والعقل ، وعالم الغيب وطريقة الوحي ، والعقل يسلم بوجوده ، ويفهم وفق ما سمح الله له من طاقات ، وتفصيله غيب لا نعلمه إلا بإعلام الله لنا عن طريق الوحي .
- كما جعلها أساسا لقيادة البشرية ، والقيام بدور الخلافة في الأرض ، وحمل أمانة الهداية والانتفاع مما في الكون مما سخره الله للإنسان (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)
- القرآن دعوة لتحرير العقل الإنساني ، من أغلال التقليد والتبعية ، القائمة على أسس الوراثة فحسب ، والتي عزلت العقل عن عمله والقلب عن فقهه . ومن ثم فهو يدعو الإنسان الى التأمل والتفكير ، ويوجه نظره إلى الكون ، وإلى النفس ، ويمدح المتفكرين والمتذكرين وأولي الألباب ، ويشنع على الذين لا يفقهون ، ولا يعلمون ، ولا يتذكرون ، ويصفهم بعمى البصيرة أو القلوب . قال الله تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .
- ثم جمع القرآن بين طرق المعرفة الرئيسية الثلاث معا : الوحي ، والعقل ، والحس . كما جمع بين مجالي المعرفة وهما مجالاً الوجود : الدنيا والآخرة ، أو عالم الشهادة وعالم الغيب في آية واحدة ، فقال سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

نظرية المعرفة

- والقرآن يقرر نسبة المعرفة الإنسانية فيقول : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)
 - ويجعل القرآن اليقين معياره في المعرفة ، ويرد الشك والظن ، ولا يعتبرهما علماً صحيحاً
 - (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)
- كل هذه الأسس ، يمكن أن تكون بناءً لنظرية في المعرفة : من حيث ماهيتها ، وامكانها ومصادرها وطبيعتها وطرقها ومعيارها وقيمتها